فترة الخطوبة

أهميتها – فوائدها – قوامها النزاهة والصراحة والتعارف

العوائق التي تقف أمام الشباب في الزواج هي العادات الاجتماعية والتقاليد المؤذية للزواج

مقدمة

نظرا لمكانة العائلة المرموقة في المجتمع البشري عامة وفي حياة الكنيسة الخاصة، تريد الكنيسة ان يعقد أبنائها زواجا مسيحيا مكللا بالنجاح والسعادة.

يقول البابا يوحنا بولس الثاني إن الأسرة، هي الطريقة الأولى والأهم الى العالم. أنها الطريقة الوحيدة على الإطلاق، الطريقة التي لا يستطيع الكائن البشري ان يحيد عنها ...

عندما تفتقد الأسرة ينشأ في الشخص الآتي الى العالم نقص مقلق واليم، يكون ثقلاً على حياته كلها فيما بعد. (رسالة البابا الى الأسرة، عدد 2) لهذا السبب علينا جميعاً ان نعمل وبكل جهد وقوة لتأسيس وتكوين عائلة قوية تكون مصدر سعادة لذاتها ولغيرها. أينما توجد عائلة ثابتة وقوية وفرحه ومؤمنة. هناك أطفال ثابتون، أقوياء، فرحون ومؤمنون. وهناك سلاماً وفرحاً وسعادة، بكلمة، هناك جنة أرضية تهيئ لملكوت السماء، هناك محبة، هناك تضحية، وهناك عطاء.

للعائلة دور أساسي في التقدم التربوي للأطفال، لا بل ان نجاح ونضوج شخصية الأطفال وعدم نضوجها، وعدم نجاحها، يعود كثيراً الى العائلة منها تبدأ العادات الصالحة والرديئة، التقدم والتأخر،والغنى والفقر الروحي للأولاد. وفوقهم تبني جماعة الغد للبشرية والكنيسة. ان المحبة الأبوية والشعور بالثبات والفرح والعفوية لا يمكن ان يوجد الاّ في عائلة ثابتة وأمينة (لقيمها الأساسية)، لهذا السبب يجب ان نهتم بالعائلة وتهيئتها كما يجب.

إن أول عمل يجب ان نقوم به هو مساعدة العائلة لتكون مركزاً تربوياً ولكي تقود جميع أعضائها نحو نضوجهم البشري والأدبي والاجتماعي والديني، وهذا يكون (قبل الزواج) أي قبل تأسيس العائلة الثابتة.. علينا ان نهيئ الشباب ليتقدموا لخطى ثابتة الى هذا العمل الجبار والمهم جداً. عليهم ان يعرفوا ما هي العائلة وما هي أسسها وغايتها والوسائل التي تساعدهم ليعيشوا حياتاً مثمرة ناضجة سعيدة معطاء ... وهذا يتحقق فقط بالمحبة الحقيقية، لهذا يقول مار بولس على الأزواج ان يحبوا بعضهم بعضاً كما احب يسوع كنيسته. (افسس 5 : 25).

ولنسأل:كيف احب المسيح كنيسته؟ الصليب يجيبنا(حتى الموت) فعلى الأزواج ان يحبو بعضهم بعضاً حتى الموت اقتداء بالرب.

يجب ان يكون ذلك واضحاً وأن يفهمه المخطوبون لئلا يتفاجأوا بعد الزواج عندما تحدث المشاكل، المحبة تحل كل شيء في المشاكل لأنها تضحي، لكونها تحتمل، لكونها تغفر، لكونها تعطي وتعطي فقط، لكونها لا تطلب، لكونها ليست أنانية، المحبة لا ترى ألا الخير المحبة تنظر الصفات الجيدة فقط.

العائلة هي جماعة لأنه فيها يتحد أشخاص لهم غاية واحدة يحاولون ان يتكاملوا بالتبادل انهم يقومون بأعمال مشتركة في حياتهم الجماعية بين أعضاء العائلة الواحدة توجد وحدة نظامية وأدبية وليس تجمعاً خارجياً وعرضياً. هذه الجماعة هي قبل أي جماعة أخرى. إنها من طبيعة الإنسان كما أرادها الله له. إن تكوين العائلة الداخلي هو متزوج، أي انه يوجد فيها سلم من القيم والواجبات والأعمال والمسؤوليات، لكونها مؤسسة فوق اختلاف أعضائها بالنسبة إلى الجنس والعمر والواجبات.

العائلة بما إنها مركز تربوي يجب ان تكون فيها علاقة صميمية مبنية على المحبة والوحدة. فما يميزها عن أية جماعة أخرى هو ان بدون المحبة (الإيمان بالعطاء والأخذ) لا توجد هناك عائلة حقيقية، ولا يمكن أن تقاد فيها حياة مسيحية صحيحة. أن القدوة والمثل الصالح ينبثق من هذه الحياة التي تتغذى وتنمو بواسطة المحبة وهي تنتقل وتسير في شرايين الأطفال. العائلة هي بكل حق عمل المحبة بهذا المعنى. يمكننا ان نقول حقا بأن العائلة المسيحية هي جماعة مميزة لأن العلاقات بين أعضائها يجب ان تكون مقدسة وتشبه العلاقات في عائلة الناصرة (يسوع ومريم ومار يوسف) وتبنى فوق العلاقات الثالوثية. هكذا تصبح موضع السلام، لأنه كل شيء يكتسب نبرة الهدوء فيها يفهم كل شيء بدون الحاجة إلى توضيحه لأن كل شيء يصبح مشتركا كل شيء هو

مفهوم وان كان سرا. والمحبة بين الزوجين المسيحيين لا يمكنها أن تنتهي بالحواس بل إنها تتفتح إلى آفاق واسعة لخير الشخص إنها محبة روحية إلهية.

ظهرت بعد المجمع الفاتيكاني الثاني مبادرات كثيرة وجديدة في الحياة الراعوية وبصورة خاصة بالنسبة إلى العائلة. الكنيسة بأسرها تهتم وتسهر وتعمل لكي تسير مع الشباب والشابات في طريقهم نحو المستقبل لتكوين عائلة قوية وسعيدة ومبنية على الأيمان والأيمان والرجاء والمحبة. فنريد ان تضع أمام الشباب جمال وقدسية وصعوبات العائلة لكي يكونوا على علم بما سيصادفهم من المشاكل ومن الخيرات والأفراح في حياتهم العائلية. إنها لضرورة عملية في وقتنا هذا قضية تهيئة المخطوبين. ولأجل ذلك حددت دورة للتأمل في فترة الخطوبة وضرورتها وفائدتها كي يسير الشباب في هذا الطريق ويكشفوا جوهر العائلة المسيحية.

في هذه الأيام نلاحظ نقصا قويا في الالتزام الزوجي من ناحية الأزواج المسيحيين أيضاً حيث تفتقد القيم المسيحية تأثيرهـــا.
هناك خطر على الشباب الذين يجرفهم تيار المحيط المريض روحيا وخلقيا وماديا. ان شباب اليوم يهتمون كثيرا بالأمور الخارجية والعلاقات السطحية اكثر من العلاقات الصميمة التي تحيي العائلة الآن وفي المستقبل. كثيرا ما يضيعون في المشاعر الخارجية اكثر من خصوبة المحبة المسيحية.
الكنيسة ـ أكليروسا ومؤمنون ـ تريد ان تخلق عوائل متزنة مع آباء وأمهات مسؤولين وبانين عشهم الزوجي فوق المحبة المضحية والناتجة من المحبة الإلهية. هؤلاء هم الشباب الذين يخلقون عوائل المستقبل، يجب ان يصبحوا مربين، تهيئهم الكنيسة روحيا وتربويا ليبدؤا حياتهم الجديدة ويبنوها وفق القيم الإنسانية والاجتماعية والدينية، وتساعدهم ليبنوا عائلة سعيدة ومهذبة ومؤمنة تزرع في قلوب أطفالها ما تعيشه يوميا من التقوى والمبادئ الصالحة.

أنتم أيها الأعزاء يجب ان تحملوا عوائكم الناشئة بكل شجاعة وبكل معرفة لرسائلكم المسيحية التربوية في العائلة أنتم في فترة الخطوبة يجب ان تتعمقوا بالدرس والحوار والتأمل في معنى الزواج المسيحي وبهذا تكتشفوا دعوتكم التي هي الطريق نحو الحياة هي ينبوع التكامل والتقديس المتبادل. فهذه التهيئة للزواج يجب ان تساعدكم لتفهموا بعضكم البعض وتستطيعوا ان تكملوا رسالتكم العائلية.

لهذا السبب فأن فترة الخطوبة هي ضرورية جدا لكي تبنى بين المخطوبين حوارا عميقا، ليعرفوا بعضهم بعضا ولك يتوصلوا إلى مشاكلهم معا ويجدوا الحلول الصالحة لها ومعا يعملوا برنامج حياتهم المستقبلية ويكتشفوا معا فضائل ونقائص بعضهم البعض ويقفوا عن قرب من الغايات المستقبلية لكل واحد منهم لئلا تخرج أمورا غير متوقعة بعد الزواج ... ولهذا يجب ان تكون لقاءاتهم مبنية على احترام الآخر وبحوار وتفاهم مؤسس على النزاهة والصراحة. هذا هــو اثمن وقت يقضونه معا، بواسطته يصلون إلى تعميق العلاقات بينهم، ويبنون مستقبلهم عاملين معا برنامجا واضحا لمستقبلهم قابل التغيير حسب الظروف التي ستلاقيهم في حياتهم المستقبلية.

في فترة الخطوبة تتغير الحياة، لأن المحبة تغير كل شئ وهذا الأمر الجديد يدخل في حياة المخطوبين، المحبة هي قوية وتحدث :
1. الثقة المتبادلة.
2. التعلق بالأمانة المتبادلة.
3. الشعور المتبادل بالمسؤولية وثقلها.
4. الابتعاد التدريجي من العائلة القديمة لأنشاء عائلة جديدة.
5. التكوين الهادئ والفرح لبيت العائلة الجديدة.

في هذه الفترة يتأسس التبادل العميق ـ الحوار ـ الكلام بين أثنين بثقة وصبر ومحاولة وانتباه ومحبة. هناك موجات طويلة تتأسس بينهم ليتفاهموا عن كل شئ لمستقبلهم والشروط للقيام بحوار بناء هي :
أ- معرفة الإصغاء والشعور بحاجات الآخر.
ب- معرفة الكلام والانفتاح نحو الثاني.
ج - مساعدة الآخر للانفتاح.
د- تعلم الصبر خلال الحوار.

أما العوائق التي تمنع الحوار فهي :
أ- الكلام الكثير.
ب- عدم التفاهم.
ج- عدم الانفتاح.
د- التوقف عن مشاعر الحب (الحسي الجسدي) بدل التأمل في سمو المحبة المرتبطة بالمحبة الإلهية للعائلة.

آباء وأمهات المستقبل يجب ان يكتسبوا عمقا روحيا ودينيا وحرا من كل سطحية. يجب ان يقبلوا ويمارسوا حقا الأيمان، لأن عملهم في العائلة هو كبير ورسالتكم هي مهمة جدا. فيجب ان يستجيبوا عمليا على دعوة الله لهم، أن يحبوا الله من كل القلب والعقل ... هو يساعدهم للقيام بكل واجباتهم كما يجب وبهذا يعبرون من محبة الله إلى محبة بعضهم البعض.

إن فترة الخطوبة تبدأ قبل الزواج وتتواصل طول الحياة كلها إنها رسالة ودعوة. إنها فترة تساعد المخطوبين ليتأملوا جيدا بما هم مزمعون أن يصبحوا أي أن يكونوا قادة كفوئين ومثلا في العائلة. إن رسالتهم تبدأ منذ الآن، سيصبحون معاونين لله في الخلق وفي إيصال الرسالة الخلاصية للأطفال.

كل هذا يجب ان يحمل المخطوبين ويوصلهم إلى تكوين عائلة فرحة وسعيدة وحسب قلب الرب بكل تفاهم وبكل ثبات لتستطيع ان تتغلب على جميع الصعوبات في مراحل الحياة المختلة هذا يكون بقناعتهم الإيمانية العميقة والثابتة هذا الأيمان الذي يزداد يوما بعد آخر هو يوطد العلاقة بينهم اليوم كمخطوبين وغدا كمتزوجين. هو سينير طريقهم نحو الأفضل.
ولكننا مع الأسف نلاحظ الواقع عكس ذلك إذ يفتر الأيمان في قلوب الكثيرين منهم وتزداد مشاكلهم وتتعمق الهوة بينهم ولهذا على الكنيسة ان تقدم فكرة واضحة – خلال فترة الخطوبة – عن الزواج المسيحي وعن العائلة حسب المبادئ المسيحية. يجب ان يكون واضحا للمخطوبين بأن الأيمان وحدة والمحبة سيكونان خلاصهما في الصعوبات وهما ينجيان عوائلهما من كل الأخطار.
هذه التهيئة في فترة الخطوبة يجب ان تكون واجب كل الجماعة المسيحية التي تعيش معا في الكنيسة حياة النعمة في مشاركة الأسرار. يجب أن يخلق ضمير راعوي حي حيث كل العوائل تشـــارك وتساعد العوائل الناشئة والجديدة لتثبيت أقدامها في إيمان وتهيئ شبابها ليكونوا عائلة المستقبل القوية بواسطة المثال والجدية، وخاصة إزالة العوائق التي تعرقل تكوين مثل هذه العائلة السعيدة ومن هذه العوائق والعادات الاجتماعية نذكر :

1. اختلاف المذهب ومسقط الرأس.
2. الحلي والثياب والغرفة.
3. الحفلات في النوادي والقاعات للخطوبة.
4. كل ما ليس ضروريا لهذه الحفلات
5. العمر (والفرق في السنين).
6. الاختلاف في الثقافة والتنشئة.
7. عدم ترك الحرية في لقاءات المخطوبين للحوار الفردي ودرس الحالات الخاصة للمخطوبين
8. فكرة النصف براخ الخاطئة. إنها صلاة للخطبة فقط وهي علامة أول بركة وبداية تكوين العائلة على بركة الله والكنيسة ...

الأمل ينتج من المحبة وأمل الكنيسة هو كبير بأن يستفيد المخطوبين من هذه الندوات. وأمل المخطوبين يبدأ من هذه اللقاءات.

المطران شليمون وردوني / بغداد 1997